5

وجدتُ الكنز !

قال سندباد :

نمتُ نومًا عميقًا، فلم أفتح عينيَّ منذ توسَّدتُ ذارعي في الصباح حتى سمعت من ينادينا وقد اصفرَّت الشمس للمغيب؛ وكان الذي ينادينا هو أبو الإسعاد وقد عاد من رحلته؛ فسألته: أين ذهبت بأشرس ؟

قال وهو ينظر حواليه: حدِّثوني أولًا عن الشيخ؛ فإني لا أراه بينكم!

فنظرتُ حواليَّ مثله ونظر أصحابنا جميعًا، فلم نر الشيخ؛ فقلقتُ لغيابه؛ وزاد قلقي حين تذكرت الذئاب العاوية. فهببت واقفًا وأنا أقول: هيا يا أصحابي نبحث عنه، فإني أخاف عليه عُدوان الذئب !

قال أبو الإسعاد : الذئب !

ثم أخذ يُرسل من فمه عُواءً متصلًا : هَوْ هَوْ ....

فعوى أصحابنا جميعًا هَوْ هَوْ هَوْ ....

فلم نلبث أن سمعنا عواءً يجيبنا من بعيد هَوْ هاو ...

فلم يكد أصحابنا يسمعون ذلك العواء حتى ارتعبوا وكفُّوا عن عوائهم، واتجهوا نحو الزورق فارِّين، غيري وغير أبى الإسعاد ...

ولم يكن بقائي عن شجاعة، وإنما وقع في ظنّي أنَّ هذا العواء الذي يطرق أذنيَّ من بعيد ما هو إلا صَدَى العواء الذي يرسله أصحابنا؛ ولكنَّ أصحابنا كفُّوا ولم يكف ذلك العواء؛ فخاب ظني، وامتلأتُ مثلهم رعبًا !

ولكن أبا الإسعاد نادانا وهو يضحك : عودوا أيها الشجعان إنما هو شيخكم يجاوبكم بعوائه لتطمئنوا ...

وكان الشيخ قد صحا قبلنا من نومته، فتركنا نيامًا وذهب يجوس خلال الشاطئ مستطلعًا؛ فلما سمع عواءنا من بعيد فهم أننا نناديه، فعوى مثلنا ليشعرنا بمكانه؛ ولم يلبث أن عاد إلينا . . .

فلما غربت الشمس قال لي الشيخ: قد حانت الساعة فاستعد ...

وفهمتُ من قوله أنه يريدني وحدي؛ فشعرتُ بالقلق، ولكني لم أجسر على الاعتراض ...

ثم نظر الشيخ إلى أبي الإسعاد وأصحابه فقال : ستنتظروننا هنا حتى نعود، وأرجو ألا نغيب عنكم طويلا . . .

ثم وضع يده على كتفي وهو يقول : هيا يا سندباد ...

فانقدتُ له طائعًا، واتخذنا طريق الأمس متجهين نحو الشاطئ البعيد، حيث رأينا الكنز مغروزًا في قاع البحر ..

ووصلنا إلى حيث أردنا، وابتدأ الجزر، وأخذ الماء ينحسر عن الشاطئ، فخضْنا وراءه لنظفر بالغنيمة قبل أن يعود الماء إلى الارتفاع ...

وكان طريقنا واضحًا معروفًا؛ فقد عرفنا منذ الأمس مكان الكنز؛ ولكننا لم نكد نخوض إليه نصف المسافة حتى رأينا ظلًّا يتحرك على الماء؛ فوقفت ووقف الشيخ برهةً لا نتكلم، ثم استأنفنا السير في شجاعة، وقد وقع في ظننا أن ذلك الظل الذي رأيناه ليس إلا وهمًا ..

لكن الظل لم يلبث أن ظهر لأعيننا واضحًا؛ ثم زاد وضوحًا؛ فإذا هو إنسان، ثم اتَّضح وبان فإذا هو حنظل الشِّرِّير؛ وكان يقصد مثل قصدنا ليستولي على الكنز ..

وكنتُ أتوقع كل مفاجأة إلا هذه المفاجأة، فتسمَّرت رجلاي في رمل القاع من شدة الخوف، ولكن الشيخ شدني من ذراعي وهو يقول : أسرع؛ يجب أن يكون اثنان أكثر شجاعةً من فرد!

واندفع الشيخ في سرعة عجيبة وهو يجرني وراءه، وكان حنظل مندفعًا مثلنا إلى حيث نقصد ..

ولم يكن من المعركة بُدٌّ، فاشتبك الشيخ وحنظل، وتماسكا يتضاربان؛ وصاح بي الشيخ وهو يحتضن خصمه ليتجنب ضرباته : لا تشغل نفسك بنا يا سندباد، أسرع أنت إلى غايتك!

فتركتهما واقفين يتصارعان على الرملة الرَّطبة وأسرعتُ إلى الكنز ...

ولم يكن انتزاعه من مكانه صعبًا، فحملته على رأسي ثم استدرتُ لأعود؛ فلما اقتربت من مكان المعركة سمعت الشيخ يصرخ فيَّ: أسرع إلى الشاطئ ودَعنا؛ فقد عاد المدُّ!

فأخذتُ أعدو بحملي نحو الشاطئ، وكأنما يطاردني مارد جبار فما بلغتُ الشاطئ حتى كان الماء ورائي كالطُّوفان، وقد اختفت وراء أمواجه الصاخبة جثة الشيخ وجثة حنظل جميعًا ....